# رواد الطريقة البوشيخية في تلمسان خلال العهد العثماني

# The first scholars of the Bouchikhiya order in Tlemcen during the Ottoman era

**ط.د/ محمد بومدين**

**جامعة أبو بكر بلقايد ـ تلمسان ـ**

boumedinem999@gmail.com

**تاريخ الإرسال: 2022/06/15** **تاريخ القبول: 2022/06/30**

**ملخص:**

عرفت مدينة تلمسان خلال العهد العثماني الكثير من الطرق الصوفية، نتيجة الحركية العلمية والدينية التي بات مشهدها في الساحة الثقافية بتلمسان في الفترة المذكورة، يبرز بشكل لافت للإنتباه أكثر مع أعلام التصوف السني، الذين حافظوا على التعاليم الصوفية الإسلامية، بتدريسها، وتلقين أورادها العلمية والصوفية للأجيال، خاصة منهم علماء **"الطريقة البوشيخية"** أمثال سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله البوشيخي التلمساني **(كان حيا سنة 1242هـ/ 1829م)**، وعلماء أولاد **"سيدي الشيخ النهاري التلمساني"** الذي اِلتصق نسبهم الشريف إلتصاقًا مباشرًا بمؤسس الطريقة البوشيخية، العالم سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي **(1024هـ/ 1616م)**، منذ القرن **11هـ/17م**، والذي تفرعت من عِترَتِه الأسرية، أسر علمية صغيرة على مر القرون الاحقة بإيالة الجزائر، كان منها **"بيت سيدي الشيخ النهاري"** بتلمسان، الذي اِرتوى علماؤه علميًا وفكريًا من مشارب علمية وصوفية مُتعددة، كالقادرية والشاذلية وغيرها.... ما جعل إسهاماتهم في تاريخ الإيالة عمومًا، بحد ذاته مدرسة لَمَعَت لَمَعَانًا مُنقطع النظير مع **"المدرسة البوشيخية التلمسانية"** وأفذاذها الأدباء، عندما أصبحت زاوياهم ذات الثوب البوشيخي، مزدهرةً وعامرةً بقرى ومداشر تلمسان آنذاك، وبلغت شهرتهم شأنًا عظيمًا، ليس لطابعها الديني

والتعبدي فحسب، بل وللعلاقات الإنسانية والمنفعية التي كانت تنسجها بين روادها ومريديها من الشيوخ، فضلاً عن الدور السياسي الّذي كانت تقوم به هذه العائلة أحيانًا مع السلطة العثمانية في الجانب السياسي.

**الكلمات مفتاحية:** الجزائر، الطريقة البوشيخية، تلمسان، بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري التلمساني، العهد العثماني.

## Abstract:

During the Ottoman era, the city of Tlemcen knew a lot of Sufism, as a result of the scientific and religious movement, whose scene in the cultural arena of Tlemcen in the mentioned period, stands out more strikingly with the flags of Sunni Sufism, who preserved the Islamic Sufi teachings, by teaching them, and indoctrinates their scientific and mystical traditions for generations. , especially among them the scholars of the **"Bushikhiya Order"** such as Sidi Abu Abdullah Muhammad ibn Abdullah al-Bushikhi al-Tilimsani **(was alive in 1242$^{AH}$/ 1829$^{AD}$)**, and the scholars of the children of "**Sidi al-Sheikh al-Nahari al-Tilmisani"**, whose honorable lineage is directly attached to the founder of the Bousheikhi order, the scholar Sidi al-Sheikh Abd al-Qadir bin Muhammad al-Samahi **(1024$^{AH}$/ 1616 $^{AD}$)**, since the **11$^{AH}$/ 17$^{AD}$** century, from which his family line was branched, small scientific families over the subsequent centuries in the Eyalet of Algeria, among which was the **"House of Sidi Sheikh Al-Nahari"** in Tlemcen, whose scholars saturated scientifically and intellectually from various walks Numerous scholarly and Sufis, such as the **Qadriya**, **Shadhiliya** and others.... Which made their contributions to the history of the Eyalet in general, in itself a school that shone an unparalleled luster with the **"Bushikhiya School of Tlemcen"** and its distinguished writers, when I became Their corners were purely in the Bouchihi dress, prosperous and full of villages and towns in Tlemcen at the time, and their fame reached a great place, not only for its religious and devotional character, but also for the human and utilitarian relations that it weaved between its patrons and its patrons from the sheikhs, as well as the political role that this family sometimes played with the authority Ottoman politics.

**Keywords**: Algeria - Bouchikiya Order - Tlemcen - Bait Awlad Sidi Sheikh Al-Nehari Al-Tlemcen - Ottoman era.

**مقدمة:**

أخذ المد الصوفي للطريقة البوشيخية يشهد تطورًا ملحوظًا في أنشطتها العلمية والصوفية حتى اخترقت شهرتها الآفاق بداية من مرحلتها الأولى التي تأسست في خِضِمِّها الزوايا البوشيخية شيئا فشيئًا بالجنوب الشرقي لإيالة الجزائر منذ القرن 11هـ/17م، وتوزعت فيما بعد في كامل مدن الإيالة، بل وإكتسحت تعاليمها الدينية المجال الجغرافي لحواضر المغرب العربي، وانتشرت انتشارًا مُتسارع منذ النصف الأول من القرن 12هـ/18م، الذي عرفت فيه هذه الطريقة اتساعًا في كامل أرجاء المعمورة قاطبة إلى اليوم.

وتماشيًا مع ما تم ذكره، كانت مدينة تلمسان واحدة من المناطق الثقافية تلك، التي كانت تزخر بعلماء أرادوا لأنفسهم الرِّفعة العلمية والأبّهة الدينية، بكل مكوناتها العلمية كانت أم الصوفية، لتستقطب هي الأخرى وعلى غرار بقية المدن الجزائرية منذ بروز هذه الطريقة. أقول؛ تستقطب بيت علمي نَبَعَت وشائجه الأسرية مباشرةً من البِطانَة البوشيخية كما يُقال عند أهل الأنساب، والمتمثل في الجد الأول لهذه الأسرة، وهو الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة، الذي أنجب الولية الصالحة لالة صفية التواتية التلمسانية (ت993هـ/ 1585م)، التي نقلت أولادها فيما بعد إلى جنوب تلمسان مع نهايات القرن 10هـ/16م، مكان المنشأ الجديد لهذه الأسرة العلمية ومؤسسته "لالة صفية" خالة الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي (1024هـ/ 1616م)، المؤسس الفعلي للطريقة البوشيخية الشاذلية.

وانطلاقًا ممَّا تم ذكره للتو، تعدُّ البيوتات العلمية في الجزائر خلال العصر الحديث، من بين أهم المعالم الثقافية الّتي تسمح للباحث الأكاديمي بتقصي تاريخ رجال الفكر من الجهابذة المتفاعلين علميًا وأدبيًا مع نظرائهم من العلماء والشيوخ في مختلف الحواضر العلمية بالبلاد الإسلامية؛ بمثل ما كان مع علماء "بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري التلمساني" الّذين شكلوا بأنشطتهم العلمية المتواصل أبًا عن جد، أحد أهم المؤشرات والمعايير الّتي تُقاس عليها طبيعة الحياة العلمية والصوفية على وجه التحديد في تلمسان إبان الفترة العثمانية، على مستوى نوعية العلوم الملقّنة، والمناهج والأساليب المتّخذة في نشر العلوم والطرق الصوفية وترسيخهما في الطلبة والأجيال فيما بعد.

وفي إطار هذه الاشكالات، وغمزاتها المتتالية، آثرنا إبراز الآثار الصوفية والأدبية لهؤلاء الأعلام، والكشف والإبانة عن بصماتهم العلمية وأدوارهم الفكرية والثقافية وجذورها، بتقديم ترجمات لكل عالم من علمائها، وإماطة اللثام عن اجتهاداته، من خلال اهتماماتهم بإنشاء الزوايا العلمية والصوفية البوشيخية، وجعلها ذات منفعة للعام والخاص، بناء على طرح معرفي ومنهجي مُتمحور حول مدى مساهمة رواد الطريقة البوشيخية في الحركة العلمية والفكرية بتلمسان خلال العهد العثماني، في وضعية طلبية تفرض علينا إماطة الأستار عن اجتهادات هؤلاء العلماء في النطاق الجغرافي الممتد من الجنوب الغربي لتلمسان إلى الجنوب الشمالي الشرقي لإيالة الجزائر، مُركزين في أوراقها البحثية على ثلاث أضلع. نوجز عنصرتها على شاكلة النقاط التالية:

- **الضلع الأول**: مخصص لاستقصاء وتتبع جذور بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري التلمساني وأصولهم الشريفة. مع التركيز على المسارات العلمية التي نقلت الفكر الصوفي للطريقة البوشيخية إلى تلمسان عن طريق هؤلاء الأعلام.
- **الضلع الثاني**: مُكمل ومُتمم للأول، حيث يبحث بالدراسة المعتمدة على التقييم والتحليل في المساهمة العلمية والفكرية لزوايا بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري بالجنوب الغربي الشمالي لإيالة الجزائر خلال العهد العثماني.
- الضلع الثالث: يبحث في المكانة الدِينية والدُنيوية التي حازها أحد رواد هذه الطريقة، وهو الشيخ سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله البوشيخي التلمساني (كان حيا سنة 1242هـ/ 1829م)، في بيئته العلمية بتلمسان وبايلك الغرب على العموم مع نهاية القرن 12هـ/18م، حتى النصف الأول من القرن 13هـ/19م.

**التوسيع:**

إن التقميش بتَحَرٍّ والبحث بتَقصٍّي في تاريخ البيوتات العلمية ذات الطابع الصوفي خلال العصر الحديث، لا يمكن فهمه، إلا باستحضار ترسبات هذه الأسر، والتنقيب عن مفاهيمها، بهدف الوصول إلى أصولها الاجتماعية، والتطرق عِلاوة على ذلك لأُسُسِها

الدينية الصانعة لمواقفها الحياتية وحركتيها الثقافية. وهو أساس ارتكزنا عليه بإسقاط الأبعاد والمرجعات هذه على "بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري"، وفق الشكل ذي الطَرْز المنهجي والمعرفي الموالي:

## 1. تعريف البيوتات العلمية:

إن كلمة "البيوتات"، تدخل ضِمن باب جمع الجمع: نحو بيتٌ بُيوت بُيُوتَاتٌ، رَجُل رِجَالٌ رِجَالاتٌ[1]، ويجوز لنا استعمال "بيوتات" أو "بيوت" إذ يحتويان على المعنى الاصطلاحي نفسه تقريبًا. والبيت العلمي هو آصِرَة عائليّة، تضمّ مجموعة من العلماء الّذين ينتسبون إلى جدٍّ واحدٍ، تربط بينهم رابطة الدّم والأصل، كان لهم إسهامات كبيرة ومميّز في الحفاظ على الإرث العلمي والفكري في تلمسان خلال العهد الحديث[2].

## 2. بيت النهاري التلمساني ـ الأصول البوشيخية والنسب الشريف ـ:

بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري بيت علم عريق من بين العديد من البيوتات العلمية التلمسانية المنشأ، حيث اشتهر أعلامه المتصوفة ليس بفضل علمائه الذين نشطوا الحياة الفكرية والعلمية داخل إيالة الجزائر، ولكن حتى مع الذين ارتحل منهم لحواضر البلدان الإسلامية مثل حاضرة فاس المغربية[3]، وحاضرة "طولون" المصرية التي كشفت لنا الكثير من الوثائق الأرشيفية المحفوظة بالإسكندرية أنهم قد هاجروا إلى مصر ضِمن بيوتات علمية تلمسانية كثيرة منذ النصف الأول من القرن 10هـ/16م[4]. وساهموا في تلك البقاع الثقافية في مختلف العلوم العقلية والنقلية، تحت اسم «علماء بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري».

ولقد انتسب أولاد الشيخ النهاري إلى غير واحدة من الطرق الصوفية، كالقادرية والطيبية والبوشيخية وغيرها...، مِمَّا ذكره عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني (ت 1373هـ/ 1965م)، في "المرآة الجلية" بقوله في هذا الشأن: «(...) أما الطرق التي ينسبون إليها هي: القادرية والطيبية والبوشيخية وإلى الطريق القادرية ينتمي كثير منهم أي هي أكثر عمدة طريقهم (...)»[5].

وقد أجمع النسابة في كتبهم وتراجمهم، على أن النسب العائلي لأولاد سيدي الشيخ النهاري يرجع إلى الشيخ "سيدي يحيى" الملقب بـ: سيدي بن صفية بن عبد الرحمان بن موسى بن إبراهيم بن إبراهيم بن محمد بن زيد بن محمد بن العطاء بن زيان بن عبد الملك بن عيسى بن أحمد بن محمد بن على بن أبو القاسم بن عبد الملك بن عيسى الراضي بن موسى المرتضى بن جعفر الصادق بن محمد الناطق بن على بن زين العابدين بن عبد الله بن حمزة بن أحمد بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبو طالب بن عبد المطلب بن (واسمه شيبة) بن هاشم (واسمه عمرو) بن عبد مناف (واسمه المغيرة) بن قصي (واسمه زيد) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (واسمه قيس) وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة (واسمه عامر) بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام[6].

فتصبح بذلك أسرة أولاد سيدي الشيخ النهاري ككل، إحدى الأسر العلمية التي تنحدر في نسبها من الإمام إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي هذا الشأن قال عبد القادر الفاطمي في تاريخه كتاب "الأصول": "وأنه يفهم من كتابنا هذا أن جميع من نذكره فيه فهو شريف ولا نذكر سوى من هو مشهور عندهم بالشرف"[7].

كما وهناك دليل آخر عن نسبهم الشريف ورد في التقاييد التي بأيديهم، وبعض الوثائق التي هي بخط الباي شعبان بن عدة والباي محمد بن قادة، هي الآن بحوزة قاضي مدينة "البيض" السيد محمد بن عبد الرحمان، هذا نصها: "و وجدنا عاطفا عليه هامش فب أعلاه خاتم ثاني مكتوب فيه الواثق بالله عبده الصمد الباي محمد بن قادة اثنان وثلاثون مكتوبا بأيمن هذا الخاتم الحمد الله وحده وبيسره وصلى االله على سيدنا محمد وآله ونصه ما بقلوبه نظرناه وعرفناه حقا فهو لمن سبقنا للحكم الباي شعبان بن عدة ونزل عليه الباي محمد نصره االله و تولاه آمين آمين آمين، ما في الأصل والهامش نقل حرفا بحرف من غير

زيادة ولا نقصان شهد به من علمه وتحققه مع المعرفة التامة بتاريخ أربعة وعشرين جانفي سنة ست وتسعين وثمانمائة وألف مسيحية الموفق من شعبان عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف هجرية القاضي عبد ربه تعالى الحاج محمد بن عبد الرحمان – الباش عدل عبد ربه قدور بن الطيب – العدل عبد ربه محمد بن قدور»(8).

### 3. هجرة أولاد سيدي الشيخ النهاري إلى جنوب إيالة الجزائر:

وفيما يتعلق بنزوح جد أولاد نهار الحاليين من حواضر المغرب الأقصى وولوجه إلى جنوب إيالة الجزائر واستقراره بين هذه الرقعة والشمال الجنوبي الشرقي للجزائر بجبال العمور بالأطلس الصحراوي أواخر القرن 7هـ/ 13م، وأوائل القرن 8هـ/ 14م، قال في هذا الصدد النسابة «العشماوي»، ما نصه: «ومن أخيار الأشراف الولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحي بن عبد الرحمن المكنى بابن صفية، وهو جد أشراف أولاد نهار، وبعد سقوط فاس سنة 343هـ/ 935م، على يد موسى بن أبي العافية وتعرض الأدارسة إلى الاضطهاد، والتقتيل والمطاردة، هاجرت أسرة تنحدر من سلالة إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل، من المغرب الأقصى متجهة نحو الشرق، لتستقر في جبل راشد بجبال العمور بالأطلس الصحراوي، حيث استقبلت بحفاوة من قبل السكان الأمازيغ الذين كانوا يكنون المنطقة، حوالي عام 388هـ/ 980م، وعملت هذه الأسرة على تعميم وترسيخ التعاليم الإسلامية في أوساط سكان هذه المنطقة، وبعد قرون من ذلك برز رجل صالح ينحدر من هذه الأسرة الإدريسية التي استقرت بجبال العمور بعد ذلك، يسمى محمد بن أبي العطاء، خلال أواخر القرن 7هـ/ 13م، وأوائل القرن 8هـ/ 14م»(9).

أما عن انتشار ذريتهم في هذه المناطق، يذكر النسابة نفسه أن محمد بن أبي العطاء خلف ثلاثة أولاد وهم :عيسى، وعلي، وزيد: «نهار» الذي استقر بضواحي جبل العمور وهو الجد الأعلى لقبائل أولاد نهار، وأنجب ستة أولاد وهم: عبد الله، ومحمد، وأحمد ويعقوب، ويوسف وعبد الرحمن، وذريتهم هي التي يطلق عليها اسم «أولاد نهار» الذين تفرقوا في العديد من البلدان، لا سيما في المغرب الأوسط والساقية الحمراء، والصحراء الغربية، والمغرب الأقصى، والشام.

أما قبيلة أولاد نهار الحاليين فتنحدر من ذرية الأخوة سيدي يحي، وسيدي أحمد، وسيدي موسى، أبناء سيدي عبد الرحمن بن موسى المكنُون بـ: «أبناء صفية»، وتختلط معها بطون ذات أصول عربية وأمازيغية، من ذرية الوافدين على الولي "سيدي يحي بن صفية"، عندما أخذت هذه القبيلة تتكون منذ أواخر القرن 10هـ/ 16م[10].

**3 . 1. أصل لقب أولاد نهار:**

أما تسمية «أولاد نهار» فترجع إلى حادثة وقعت لمحمد بن أبي العطاء، ذكرتها بعض المصادر بنوع من التفصيل، لعل أهمها ما وُجد مرويًا في بعض الروايات التي اتفقت جميعًا حول حادثة واحدة في سرد وقائعها وتعليلها لسبب التسمية، وما جاء فيها أن محمد بن أبي العطاء كان عائدًا من حجة بيت الله الحرام، فسمع بخبره واصل بن الزمري «ونزمار» السويدي، أحد قطاع الطرق الكبار بمنطقة السهوب، فأغار على بعض أملاك محمد بن أبي العطاء الذي انطلق نحو واصل بن الزمري وهو ينشد:

«هولي شوق أحبابي *** كاتم السر قنـوط
مكنـــوالي درعـي *** والسيف المسقوط»[11].

فنشبت بينهما معركة حامية الوطيس في واد كان يسمى بـ: «وادي اللوز» يقع شرق مدينة تيهرت «تيارت حاليًا»، انتصر فيها محمد بن أبي العطاء على خصمه فقتله، وصار يهمهم بشعر المنتصر:

«زرت قبـر النبي عدنان *** في طريـق مـــولاي سبحـــانه
بسيفي قسمت«واصل» *** الكافر وصار في جهنم يا ويلاه
بجاهه أنقذني سلطاني *** فلســاني فصيــح في رضـــاه»[12].

فأصبح وادي اللوز منذ ذلك اليوم يسمى بوادي نهار واصل، ويطلق عليه أحيانا خطأ "نهر واصل"، وهو رافد معروف من روافد وادي الشلف، و في ذلك اليوم «أي يوم نهار واصل» ولد لمحمد بن أبي العطاء ولد سماه "زيد"[13]، وأطلق عليه لقب «نهار» نتيجة انتصار أبيه على عدوه في واقعة يوم نهار واصل، فأصبحت ذريته تحمل اسم أولاد نهار، وصاروا لا يعرفون إلا بها[14].

## 3 ـ 2. الإمتداد الصوفي للطريقة البوشيخية في تلمسان على ضوء انتقال علماء بيت سيدي الشيخ النهاري إلى الجنوب الغربي الشمالي للجزائر:

### 3 ـ 2 ـ 1. التعريف بالطريقة:

الطريقة الشيخية هي طريقة إسلامية سُنية صوفية، تحث على طاعة الله عز وجل والإلتزام بالسُنة المطهرة، وهي طريق قويم، وصراط مستقيم، تهدي إلى السبيل والهدى، جامعة بين الشريعة والحقيقة، لأنها شيخية المشرب، شاذلية المرجع، محمدية الأصل والمنبع. "بسندها المتصل إلى الإمام سيدي أبو الحسن الشاذلي، ثم منه إلى سيد الوجود النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم"[15].

إن الطريقة البوشيخية تؤكد على طلب العلم، وإحترام العلماء والفقهاء، وكثرة ذكر الله تعالى، إذ هي من أقوم، وأبسط، وأنفذ، وأقرب الطرق الصوفية إلى الله عز وجل. وعلى حد تعبير مريديها ومشايخها فإنه من سلكها وصل إليه تعالى مصحوًبا بالسلامة، محفوفًا بالكرامة والأنوار، لأنها متمسكة بآداب الشريعة التي تستند على الوسطية، بلا مجاهدة ولا كثرة الانزياح عن الدنيا، وبالتالي فإنها سليمة من كدورات جهلة المتصوفة. وقد قال في شأن ذلك مؤسس الطريقة "سيدي الشيخ" في "الياقوتة":

وحال لها حوى الأصول بأسرها *** طريقــة أسلاف بيضـاء نقيــة
فهــذي فصــولها وشرط كـمالها *** منــوط بعـلم ثم حلم وحكـمة

وقال تلميذه العلامة الفقيه سيدي عبد الله الجراري:

طريقي إلى الرحمان حاوي المذاهب *** وحائز قصب السبق أعلى المراتب
تسمــى بعبد القــادر بن محـمد *** لديــه يـروم المـرء كــل المواهب
جواب جرابي قد جرى بي ما جرى *** جراب ملاه الشيخ ليس بسائب[16].

### 3 ـ 2 ـ 2. منبع الطريقة البوشيخية:

تشير مجمل كتب الأنساب على أن العالم سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي (1024هـ/ 1616م)، هو المؤسس الفعلي لهذه الطريقة، بداية من القرن 11هـ17م

وهو واحد من أبناء العالم أبي عبد الله محمد بن سليمان بن أبي سماحة (ولد سنة 951 هـ/ 1544م). ويُعرف اختصارًا بـ: "سيدي الشيخ"، حيث كان فقيهًا وأديبًا، مؤسسًا لعدد كبير من الزوايا التربوية التعليمية، المنتشرة في المناطق الجنوبية الغربية من الجزائر، وفي المناطق الشرقية من المغرب الأقصى[17]. حيث بدأ يتوافد عليه طلاب المعرفة والتربية الصوفية في تلك الزوايا البوشيخية، وانتشر صيته في الأصقاع المغربية والمشرقية، وكان من بين الوافدين عليه أحد الفقهاء أحمد بن أبي محلي (ت 1022هـ/1613م)[18] الذي تقرب من الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي حتى زوجه إحدى بناته، ولكنه لم يلبث أن قلب له ظهر المجن، وتصدى للإنكار على الشيخ السماحي، واختلف معه، وراسل علماء المشرق والمغرب ليحثهم على تكفيره أو تبديعه، وبلغ من تحامله على الشيخ السماحي أن ألف ضده عدة كتب منها "المنجنيق..."، و"الإصليت..."، و"سم ساعة"...، وغيرها.

اتسع الإشعاع الصوفي للشيخ السماحي بين القبائل البعيدة والقريبة إلى أن توفي سنة 1024هـ/ 1616م، فتولى أمر زاويته أحد أبناءه الأحد عشر الشيخ عبد القادر بن محمد السماحي وبعد وفاة هذا الأخير تولى الزاوية بوصية منه ابنه الحاج أبو حفص، وبعد وفاة ابو حفص تولاها بوصية منه أخوه الحاج عبد الحكم، ثم ابنه أبو حفص الحاج الحفيد، وبعده ابن عمه الشيخ ابن الدين[19].

### 3 ـ 3. بدايات التواجد الفكري والعلمي للطريقة البوشيخية في تلمسان خلال العهد العثماني:

لقد انتشر علماء بيت سيد الشيخ النهاري الملقبين تبعًا للطريقة التي اتبعوها "الطريقة الشيخية" من جهة بـ: "البوشيخيين"، وتبعًا للقبهم العائلي الذي يعود للأم "لالة صفية" من ناحية أخرى بـ: "أبناء صفية"، مُكونين بيت علمي أصيل في تلمسان مارس علماؤه التعليم في هذه المدينة في زواياهم، ومساجدهم، ومعمراتهم، التي احتضنت عابري السبيل وغيرهم من الفقراء والهاربين من السلطة التركية...

وبين هذا وذلك، لم تكتمل صِفة لقب "سيد الشيخ" جيدًا في كنى علماء هذا البيت على ما يبدو إلا مع أنصاف القرن 12هـ/18م، مع علماء ينحدرون من صلب ابن أخت لالة صفية التواتية الآتية ترجمتها، الشيخ سيدي عبد القادر السماحي المؤسس الفعلي للطريقة البوشيخية، والذين يُعدُّون بأنشطتهم العلمية والفكرية أحد المعالم الثقافية التي باتت تُسير العلاقة السياسية والاجتماعية بين أهل تلمسان والسلطة الحاكمة في ذلك الوقت. كل ذلك قد أسس له من قبل الولي الصالح سيدي يحي بن صفية النهاري التلمساني (ت 1016هـ/1607م)، الذي أعطى شهرة لسلالة أولاد أنهار، وأحد تلامذة ابن خالته الشيخ سيدي عبد القادر السماحي.

## 4. المساهمة العلمية والفكرية لزوايا بيت أولاد سيد الشيخ النهاري بالجنوب الغربي لإيالة الجزائر وتلمسان خلال العهد العثماني:

### 4 ـ 1. زوايا لالة صفية التواتية التلمسانية (ت 993هـ/ 1585م):

**ـ السيرة والمسيرة العلمية لالة صفية التواتية:**

ولدت الولية الصالحة، لالة صفية صاحبة الكرامات والمواهب العرفانية، حوالي عام 918هـ/ 1510م، وتعلمت هي الأخرى كإخوتها البررة على يد والدها الشيخ الصوفي الشهير تعاليم "البوبكرية"، أحد فروع الشاذلية، وأنشأت عدة زوايا تعلم فيها النشئ، ويأوي إليها الناس وعابري السبيل. وتُعد لالة صفية الجدة الأولى لقبيلة أولاد نهار، المنحدرين منها ومن صلب زوجها سيدي عبد الرحمان بن موسى (ت 947هـ/ 1539م)، الّذي اتصل بوالد لالة صفية الشيخ سيدي سليمان السماحي (ت 945هـ/1539م)[20]، وأخذ عنه أصل الطريقة البوشيخية، الطريقة الشاذلية، وصار له تلميذًا وأجازه ليعلم "الطريقة البوبكرية"[21] وبعض العلوم النقلية كـ: القرآن، والفقه، والتصوف، في زواياهم ـ زوايا لالة صفية ـ بقرى "فجيج" و"بني ونيف" وضواحيها، وبعد مدّة من الزمن خطب سيدي عبد الرحمن بن موسى من سيدي سليمان بن أبي سماحة ابنته السيدة صفية لنفسه، فقال له والدها: "لا نزوجها لك حتى تثبت لنا صحة نسبك"، فكان له ذلك بعد أن أثبت صحة نسبه، وتلبية شرط شيخه

سيدي سليمان السماحي، لما رحل إلى "صفيصفية" للحصول على الوثيقة التي تثبت صفته شريفًا، ولما أثبت ذلك، تزوج من لالة صفية[22].

وتذكر رواية أخرى بأن سيدي أحمد بن يوسف الملياني (توفي حوالي 931هـ/ 1524م)[23] شيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة وسيدي محمد بن عبد الرحمن السهلي، هو الذي زوج السيدة صفية لسيدي عبد الرحمن بن موسى المنحدر من "جبل عمور"، وقد أنجب هذا الزواج ثلاثة أولاد، ذريتهم هي التي تشكل قبيلة "أولاد نهار"، وفي هذا الشأن يقول "الجيلاني بن عبد الحكم"، أحد أحفاد بيت أولاد نهار في كتابه "المرآة الجلية": "أولاد سيدي عبد الرحمن بن موسى هم: سيدي يحي وسيدي أحمد وسيدي موسى، وكان أخوالهم، بعد موت أبيهم لا يدعونهم إلا بأولاد صفية ولا ينسبونهم إلا إليها، لعظم قدرها عندهم ولأنها كانت من الصالحات القانتات وقد ظهر على يدها كرامات ولأن أباهم مات وتركهم صغارا عند أخوالهم، فلذلك اشتهرت بسبة سيدي يحي بأمه وصار الناس من ذلك العهد إلى الآن لا يذكرونه إلا بسيدي يحي بن صفية، ولما توفي سيدي أبي زيد عبد الرحمان سنة 947هـ/ 1539م، تكلفت لالة صفية بتربية أبنائها الثلاثة الأيتام"[24].

توفيت لالة صفية حوالي سنة 993هـ/ 1585م، ودفنت أول الأمر قرب صفيصيفة، ثم نقل قبرها إلى "تيوت" من طرف الأحلاف القبلية بعد صراعات بين أحلاف تيوت وسكان صفيصيفة طمعًا في بركاتها[25]. وفي استقطاب ونقل زواياها إلى منطقتهم.

### 2.4. زاوية سيدي الشيخ يحي بن صفية النهاري التلمساني (ت 1016هـ/1607م) ـ مدشر بني سنوس ـ:

إن مؤسس هذه الزاوية هو الولي الصالح سيدي الشيخ يحي بن صفية التلمساني (ت1016هـ/1607م)، ابن الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن موسى الفجيجي، والولية الصالحة لالة صفية التواتية التلمسانية (ت993هـ/ 1585م)، وتلميذ سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي (ت990هـ/1582م)[26]، وهو الذي أعطى شهرة لسلالة أولاد أنهار، المتوفي في صفر من سنة 1016هـ/1607م، والمدفون قرب مدشر "سبدو"[27] جنوب

تلمسان، والذي يحظى اليوم عند أولاد نهار الحاليين بموسم تكريمي "الوعدة" في فصل الخريف من كل سنة[28].

ولقد لُقب هذا الولي الصالح والعالم الزاهد بلقب "سيدي" وقد كانت هذه الكلمة تستعملُ استعمالاً واسعاً في المغرب العربي عادة لتعني "وليًا صالحًا" وهي كلمة احترام تدل على مَهَابَة أكثر وأرفع قدرا[29].

ولد العالم سيدي الشيخ يحي بن عبد الرحمن المكنى بـ: "ابن صفية" سنة 935هـ الموافق لـ 1529م، ونشأ في بيئة دينية حيث درس في زاوية جده لأمه الشيخ سيدي سليمان بن أبي سماحة، اللغة، والعلوم الدينية، والتصوف، ثم واصل دراسته بوادي "غير" في زاوية "مولى السهول" بالقرب من مدينة "بوذليب" التي تقع إلى الشرق من مدينة الرشيدية بالمغرب الأقصى، وتخرج على يد رئيسها الشيخ محمد بن عبدالرحمن السهلي(ت 990هـ/1582م)[30].

هذا، وتبعًا لتوجيهات شيخه المذكور، توجه نحو الشمال لنشر العلوم التي درسها، ولترسيخ الطريقة التي تبعها، فاستقر بجبال بني سنوس بجنوب تلمسان، أين بنى زاوية أخذت فيها سمعته تتنامى بسرعة، حيث كثر تلاميذه، ومريده، وأتباعه، فأصبحت زاويته مزدهرة وعامرة، وبلغت شأنا كبيرًا، ليس لطابعها الديني والتعبدي فحسب، بل وللعلاقات الإنسانية والمنفعية التي كانت تنسجها بين روادها ومريديها، وللدور السياسي الّذي كانت تقوم به أحيانا مع السلطة العثمانية[31].

أما في الجانب السياسي فقد أصبحت زاويته البوشيخية تشكل قبائل المخزن، وذلك ما جاء عند عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني، بقوله: "(...) فأقول أنهم كانوا على سيرة محمودة معتبرين عند الخاص والعام من قبل احتكام الدولة الفرنسية وفي عهد الأتراك كانوا مخزنا لها وعمدة لها لشجاعتهم وكرمهم وسياستهم مع الخلق ونصحهم للدولة وبقوا على هذه الحالة إلى أن استولت الدولة الفرنسية على شمال إفريقيا(...)[32].

ولقد تواصلت تلك العلاقة السياسية بين زاوية أولاد نهار وعلمائها والسلطة العثمانية بتلمسان حتى الدخول الفرنسي بهذه المدينة، وهو ما أورده مرة أخرى النسابة والمؤرخ

السابق الذكر، وهذه المرة في موضع كلامه عن أحد علماء هذا البيت العلمي خلال القرن 12هـ/18م، الحاج امحمد بن العربي بن السيد اعمر بن رحو بن يحي بن عبد الله النهاري التلمساني (القرن 12هـ/18م)، فقال في هذا الصدد: "(...) سبب انتقال أولاد السيد الحاج امحمد بن العربي بن السيد اعمر بن رحو بن سيدنا يحي بن عبد الله روي أنهم نشأوا نشأة حسنة من قراءة القرآن و العلم و الفروسية والشهامة الهاشمية في زمن الدولة التركية فاتفق أن باي ذلك الوقت قلد للسيد الشيخ بن الحاج امحمد قيادة عرش سنجاس وقربهم الباي قربا عظيما لمالهم من التوجيه واتباع الناس لهم وإقتدائهم منم في أقوالهم وأفعالهم وبسبب ذلك حصل لبعض الرؤساء في ذلك الوقت حسد أوقد في أحشائه نارا حملته على المداخلة والتوسوس للباي وزين له الشيطان أعماله وذكر للباي أنهم يريدون الخروج عن الدولة وأن لهم أتباعا كثيرين فداوم على ذلك التوسوس وجعله أنواعا إذ غير خفي أن الحسود لا يطيب له عيش ولا حياة إلا بزوال نعمة المحسود ولم تنفع المداراة ولا غيرها ولما زاد هذا الحاسد في الطين بلة واتسع الخرق على الرقع اجتمع أولاد سيدنا الحاج امحمد سرا واتفقوا على الهجرة إلى العطاف فشدوا رحالهم ليلا وأصبحوا في العطاف (...)"[33].

### 3.4. زاوية سيدي الشيخ الجيلالي النهاري التلمساني(القرن11هـ/17م، 12هـ/18م):

وبعد وفاة الشيخ سيدي الشيخ يحي بن صفية في العقد الأول من القرن 11هـ/17[34] عرفت زاوية أولاد سيدي الشيخ النهاري تحولات كبيرة انطلاقًا من تلك الفترة، عندما خلفه ابنه سيدي الشيخ الجيلالي في تسيير شؤون هذه الزاوية، وكان مثل والده حرمًا آمنا لمن استجار به على قول النسابة الجيلاني بن عبد الحكم[35]. وعمل على تأسيس زوايا أخرى في منطقة سيدي الجيلالي ـ بلدية سيدي الجيلالي جنوب تلمسان ـ

كان سيدي الشيخ الجيلالي فقيه وعالم نوازلي، تأتيه الفتاوى من مناطق الشمال الغربي الجنوبي للجزائر خاصة في زاويته التي خصها لعابري السبيل، وتعليم العلوم العقلية والنقلية، حتى طار له صيت عند علماء تلمسان الذين بدأوا يرحلون إلى زاويته ويجاورونه للاستزادة العلمية.

**4 ـ 4. زاوية سيدي الشيخ الحسن النهاري التلمساني (القرن 12هـ/18م):**

وبعد وفاة سيدي الشيخ الجيلالي النهاري التلمساني (القرن 11هـ/17م، 12هـ/18م)، خلفه على رأس هذه الزاوية ابنه سيدي الحسن النهاري التلمساني (القرن 12هـ/18م)، (جد الحساسنة الحاليين)، حيث واصل طريق والده العلمي في استقبال الطلبة والعلماء من خارج الجزائر، خاصة علماء المغرب الأقصى الذين جعلوا من هذه الزاوية محطة في مسيرتهم العلمية[36]. لتنتقل بعد ذلك الرئاسة على ما أورده النسابة "أحمد الادريسي الشيباني"، في "مصابيح البشرية في أبناء خير البرية"، إلى ابن عمه سيدي الشيخ عيسى بن عبد الرحمن بن سيدي الشيخ يحي بن صفية النهاري التلمساني (القرن 12هـ/18م)[37].

**4 ـ 5. زاوية سيدي الشيخ الشاذلي النهاري التلمساني (القرن 12هـ/18م):**

مِمَّا تجدر الإشارة إليه، أنه بعد وفاة سيدي الشيخ يحي بن صفية النهاري التلمساني، قامت جماعة من قبيلة أولاد نهار بتعيين ابنه سيدي الشيخ الشاذلي النهاري التلمساني (القرن 11هـ/17م)، شيخًا على الزاوية وعلى القبيلة بحد ذاتها، التي بدأت تتوسع إلى "العريشة" بالجنوب الشمالي الغربي للجزائر، وبعد وفاة هذا الشيخ خلفه ابنه الشيخ أبو العباس أحمد سيدي الشاذلي (القرن 11هـ/17م)، الذي انحصرت المشيخة بعده في أبنائه إلى عهد الإستعمار الفرنسي بالجزائر[38].

**4 ـ 6. مسجد (زاوية) أولاد سيدي الشيخ بن موسى النهاري التلمساني:**

ينسب هذا المسجد إلى سيدي الشيخ بن موسى بن عبد الرحمان بن سيدي يحي، الذي كان أولاده محافظون على عمارة جامع عندهم، كانوا يقرون فيه الضيف بالتناوب بينهم، وفيه يشاطرون الطلبة للقراءة، وتعليم أبنائهم، والأيتام، ويقيمون فيه الصلوات الخمس، وبالجملة فهو معهد للتعليم، وهو على هيئة زاوية من الزوايا البوشيخية إلا أنم يطلقون عليه اسم (الجامع)، وكان يدير أمره جماعة من أولاد سيدي الشيخ النهاري[39].

### 7.4. زاوية سيدي الشيخ يحيى بن سيدي موسى بن عبدالرحمن بن يحيى بن صفية النهاري التلمساني (من علماء النصف الثاني من القرن 12هـ/18م):

كان هذا العالم، وليًا صالحًا من أهل الكرامات، وقد أظهر االله على يديه كرامة عظيمة خارقة للعادة على ما يذكر في مختلف كتب السير والتراجم، متواترة عند جميع الناس في نواحي عين مطر. هذه الأخيرة التي كانت مركز لزاويته البوشيخية التي جعل منها مدرسة وجامع في الوقت نفسه، يقوم فيها بتعليم الصبيان والنشئ[40].

## 5. سيدي أبو عبدالله محمد بن عبدالله التلمساني (كان حيا سنة 1242هـ/ 1829م) رمز من رموز الطريقة البوشيخية بتلمسان القرن 13هـ/19م:

هو أحد علماء تلمسان الذين لبسوا ثوب الطريقة البوشيخية، انفرد في ذكر أخباره المؤرخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني التلمساني (كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، في مؤلفه "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران"، وهو يسرد مناقب باي الغرب الجزائري "الباي حسن" وقسوته على أهل العلم والأولياء الصلحاء، حيث قال: «(...) ولم ينج من الباي حسن أحد من الأولياء إلا السيد محمد بن عبد الله البوشيخي المعروف عند الناس بالشيخ ابن سحنون، فإنه لم يتصرف فيه بالقتل، وكان ساكنا بضواحي تلمسان (...)»[41]. مضيفًا الأسباب السياسية التي دفعت بالباي المذكور على أن يستدعيه إلى مقره بوهران، قائلاً: «(...) وسعبه الوشاة عنده بأنه يريد أن يقوم عليه، فبعث له عدة أناس، واحد بعد واحد ليأتوا به، فكل من يصله منهم لا يقول له شيئا، ويرجع للباي ويقول له: إنه عصى القدوم عندك ولا يأتيك إلا إذا ذهبت له بجيشك فنظفر به، ثم إن الباي دبر في حاله فقال: لا أذهب لرجل واحد بجيوشي، وإنما أبعث له محمد المزاري، وننظر بعد ذلك ما يكون به الأمر، (...)»[42].

لقد كانت القصة التي وقعت بين الباي حسن والعالم البوشيخي المذكور، بمثابة واقعة سياسية وعسكرية أظهرت مكانة العلماء عند الحكام العثمانيين، والخوف الشديد والإحترام الكبيرين الذان كانا يكنهما العلماء لبعضهم البعض، حيث نستنبط من كلام "ابن سحنون"

الشيء الكثير من الرِّفعة الدِينية والدُّنيوية التي كان عليها هذا العالم، وشخصيته القوية التي اكتسبها على ما يبدو من نشاطه العلمي والصوفي بزاويته، في حد قوله: «(...) وكان المزاري ليس بآغة، ولم يتول ذلك المنصب أصلا، فأمره الباي بالذهاب لهذا السيد والإتيان به، فامتثل أمره، وقال: لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، ما هذه القصة التي بليت بها، وأوصاه بأن يأتي به مكبلا على برذعة، فذهب المزاري متأسفا، ولما وصله نزل عنده ونظر في أحواله، فوجده من أولياء الله المتعبدين، المقربين للفقراء والمساكين وغيرهم، وأنه ليس من أهل الثوران، فبات عنده وهو يقول في نفسه: كيف يكون الخلاص من هذا الأمر يا من بليتني به، (...)»[43].

وعن معاناة الشيخ المزاري في أمريته هذه التي أشاطته وهو في حوار مع العالم المذكور يقنعه بضرورة الارتحال معه على مَطِية فرس محترمه لا كما أمر الباي، أردف صاحب "دليل الحيران"، الكلام قائلاً: «(...) فقال المزاري: يا سيدي نفسي لا تحب أن آخذك معي مقيدا على برذعة، وإنما تحب أن تركب معي على فرسك مسرجا، ونذهب معا لوهران لدى الباي ويفعل الله ما يريد، فقال له السيد: يا مزاري لا تعص أمر الباي فإنه أمير المؤمنين، وطاعته واجبة علي وعليك وعلى كافة الرعية، فقال له: يا سيدي، الا يليق بنا إلا ما قلت لك، فقال له: خذ القيد من بيتي لكي أذهب معك، وإلا فلا، فأتى له السيد بقيد وأمر صاحبه أن يبردع له بغلة ويسرج فرس المزاري وفرسه، ففعل، فركب المزاري والسيد كل منهما على فرسه، وركب الخدم على البغلة المبرذعة، وجاؤوا إلى أن قربوا من مدينة وهران، فأقسم السيد محمد بن عبد الله على المزاري أن يكبله ويركبه على تلك البغلة ليدخل المدينة على تلك الحالة، فقال له المزاري: يا سيدي، إني أخشى على نفسي من ضررك، فضر الباي ولا ضررك، فقال له: يا ولدي لا خوف عليك، لأنك مأمور بذلك، وتظهر الطاعة منك ومني، ففعل به المزاري ما أراد وأدخله وهران، وقصد به بيته فأنزله فيها وبات (...)»[44].

واصل الشيخ المزاري مساعيه في سبيل حماية هذا العالم من سيف الباي حتى وصل به الأمر إلى أن يطلب من الباي "حسن" الضمان لعالم تلمسان إما بـ: "الدية" أو "الخطية"[45]، وفي الآتي تفصيل لذلك: «(...) ومن الغد ذهب للباي حسن، وقال له: يا

سيدي، إن الذي أمرتني عليه قد جئت به على الحالة التي أردت، وإنه ببيتي، وإن كل ما قيل فيه كب، والآن نسأل منك الأمان عليه، فإني أتيت به دون مخالفة منه لك، وإن كل من بعثته له قبلي وصله ولم يقل له شيئا، وحكى للباي جميع الواقع، فقال له الباي: وما تريد يا مزاري؟ فقال له: الدية أو الخطية التي نلزمه بها نؤديها لك، وهو في ضمانتي، فنحب يا سيدي أن تعطيه أمان الله أن لا تنتقم منه بالقتل أو السجن، لأنه في حرمي،(...)»[46].

وعلى الرغم من حصول المزاري على وعد الأمان لهذا الشيخ من الباي، إلا أن الباي حسن أراد أن يختبر سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (كان حيا سنة 1242هـ/ 1829م)، ليتفاجأ من حسن سِيرته، وطِيب أخلاقه، وليونته في المناظرة، مما جاء في المصدر نفسه: «(...) فقال له: عليه الأمان أن لا شيء عليه، والله شاهد على ذلك، غير أني أختبره ببعض الأمور، فذهب المزاري وأحضره لدى الباي، ولما مثل بين يديه حصلت للباي منه هيبة، ثم قال له: يا هذا الرجل، ما الذي يسمع عنك؟ فقال له: إذا أخبروك بأني جاعل بيتا للطلبة ولضياف الله، وللمخزن إذا جاء، فذلك حق، وإذا أخبروك بغير هذا فذلك كذب علي، ولست من أهله، فقال له: إني نخايل فيك بعض الأسرار، وأردت أن أختبرك بأمور لك فيها ضرر، فإن كنت من ذوي الأسرار الربانية فتخلص من ذلك، وإن كنت من الأحزاب الشيطانية فذلك آخر عمرك، فقال له: افعل ما تريد لكني أقول لك قولا، إن أنت أهلكتني فإنك تهلك، وإن أنت أنقذتني فإنك تنقذ، فإن بعثتني مع البر فإنك تبعث برا، وإن بعثتني مع البحر فإنك تبعث معه، فبادر بالاختيار، فألقاه الباي على نخاطف الحديد فصار يلعب عليها والباي ينظر، ثم أخرجه وألقاه بين يدي السباع فلما رأته بصبصت له واطمأنت إليه ولم تأكله بشيء، فصار يركب عليها واحدا بعد واحد وهي مذعنة له، والباي بمن معه ينظرون، ثم أخرجه وألقاه في الكوشة فطفيت النار كأنها لم توقد أصلا، واتكأ السيد فيها طولا، والناس ينظرون ويتعجبون من أمر الله، (...)»[47].

وعقب تلك الحادثة التي كشفت عن كرامات الرجل الصوفية تأكد الباي على ما يظهر من خوارق هذا الشيخ، فأمر بإطلاق سراحه، بل وكانت من نتائج ذلك اللقاء بين العالم والباي أن اِقتنص "المزاري" منصب "الآغا" له ولذريته من بعد، حيث قال

"ابن سحنون"، ما نصه: «(...) ثم أخرجه ورده لبيت المزاري، وقال له: غدا نبعثك لبني يزناسن مع البحر ويلحقك أهلك مع البر في الأمان، فأخذه المزاري وذهب به إلى بيته، وقال للمزاري: اعلم أني ضمنت لك من الآن الرياسة، ولأولادك من بعدك مؤبدة، وإنه لا يتصرف أحد فيكم بسوء، وإنكم على الأبد في أمن من الضرر المخزني، (...) فكانت دعوته بالخير على المزاري هي سبب توليته لمنصب آغة، فإنه في تلك الأيام صار آغة وذلك سنة (1242هـ) (...)»[48]. وفي شأن عودة سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله البوشيخي التلمساني إلى تلمسان ومنها إلى منطقة "بني يزناسن" التي كانت موطن نفي ولجوء سياسي للكثير من علماء تلمسان الذين دخلوا في مشاحنات مع الحكام العثمانيين وأبعدوا جراء ذلك من مدينتهم، يذكر صاحب المصدر السابق، ما يلي: «(...) ثم من الغد بعثه الباي لبني يزناسن في السفينة، وأمر أن يلحق به أهله في أمن وأمان (...)»[49].

**خاتمة:**

ونافلة القول فيما مر معنا آنفًا، حول ما يتعلق بعرضنا التاريخي الموسوم بـ: «رواد الطريقة البوشيخية في تلمسان خلال العهد العثماني». والقراءة الاستنتاجية المتأنية للسيرة والمسيرة العلمية والثقافية لعلماء أولاد سيدي الشيخ النهاري بتلمسان، تمكَّنا من الوقوف على مجموعة من النتائج. نسجلها بإيجاز فيما يلي:

**1)** تعود جذور أسرة بيت أولاد سيدي الشيخ النهاري التلمساني إلى النسب الشريف استنادًا إلى الدلائل التاريخية التي بحوزتهم.

**2)** انتشرت الطريقة الشيخية بالجنوب الشمالي الغربي المحاذي للجنوب الغربي لحاضرة تلمسان، على يد أولاد سيدي الشيخ النهاري، حيث شهدت بعض زواياهم البوشيخية فترات انتقال من الجنوب إلى الشمال، وبعضها الآخر بقي يلقن العلوم العقلية والنقلية في محله بالجنوب الشمالي الغربي للجزائر العثمانية.

**3)** اشتهرت عائلة أولاد سيدي الشيخ النهاري منذ القرن 11هـ/17م، بتأسيس مؤسسات الزوايا البوشيخية والاهتمام بها، كمِيزة أساسية صاحبت علمائهم طيلة العهد العثماني.

**4)** اختصت زوايا أولاد سيدي الشيخ النهاري البوشيخية بتلمسان في تعليم العلوم النقلية، الدينية واللغوية منها على وجه الخصوص، ولم تتناول بقية العلوم العقلية التي على ما يبدو قد بدأ ينطفأ بريقها، إلا مع القلة القليلة من العلماء الذين حافظوا عليها خلال هذه الفترة الزمنية من تاريخ الجزائر الثقافي.

**5)** تعد زوايا الطريقة الشيخية المنتمية لأولاد سيدي الشيخ النهاري مؤسسات ثقافية أصيلة، بقيت تُصارع رِياح التقهقر العلمي والفكري الّذي كَادَ أن يُصيب الحياة الثقافية بالجزائر العثمانية لولا حسن القدر الذي لم يعدم حظ هذه الأخيرة من نسمات الحركة العلمية التي أبت الإنقطاع والاندثار بفضل أعلام هذه الطريقة الصوفية التي اخترقت الآفاق المشرقية والمغربية، بل والعالمية وقتذاك. على غرار العالم الصوفي سيدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله التلمساني (كان حيا سنة 1242هـ/ 1829م).

## الهوامش والإحالات:

(1)- يوسف الصيداوي، الكفاف، دار الفكر، لبنان، 1999م، ص: 25.

(2)- محمد بومدين، "إضاءات على نماذج من ذخائر الكتب وخزائن المكتبات الخاصّة بعلماء تلمسان خلال العهد العثمانيّ"، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، مجلة محكمة دولية تصدرها جامعة وهران02، المجلد 10 ـ العدد الثاني (02)، 16 مارس 2021، ص ص: 585 ـ 600.

(3)- لوطورنو روجي، فاس قبل الحماية، (ج1)، ترجمة: حجي محمد والأخضر محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص: 49.

(4)- عبد المعطي حسام محمد، العائلة والثروة، البيوتات التجارية المغربية في مصر العثمانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2008، ص: 36.

(5)- عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني (ت 1373هـ/ 1965م)، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، تحقيق: الجيلاني بن فرح حسين، (د.م)، (د.ت)، ص: 80.

(6)_ حول الموضوع ينظر الرابط:

https://tribusalgeriennes.wordpress.com/2013/09/05

روجع يوم: 2021.09.29. في الساعة: 13:55.

(7)– قويدر قيداري، بستان الأزهار في سيرة سيدي يحيى بن صفية ومسيرة أولاد نهار دراسة تاريخية وأنثروبولوجية، دار الغرب، وهران، 2009، ص: 54.

(8)– نفسه، ص: 43.

(9)– أبو العباس أحمد بن محمد المكي العشماوي، السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت المطهر، طبعة حجرية، (د.م)، (د.ت)، ص: 45.

(10)– قويدر قيداري، أولاد نهار والولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحيى بن صفية: سيرة وتراجم وتراث مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية وفنية، دار الأفق للطباعة، الجزائر، 2019، ص: 78.

(11)– نفسه، ص: 89.

(12)– نفسه، ص: 89.

(13)– أبو زيد عبد الرحمن بن موسى الفجيجي (توفي أواخر القرن 10هـ/16م): هو الشيخ عبد الرحمن بن موسى الفجيجي الملقب بـ: "نهار" بن سيدي محمد بن أبي العطاء، الّذي جاء في أوائل القرن 10هـ/ 16م، إلى الولي سيدي سليمان بن أبي سماحة البوبكري الصديقي، الجد الجامع لقبائل "الزوي" الذين ينزلون بمناطق متعددة من الجزائر والمغرب الأقصى، فمكث عنده يعلم بزاويته مدة من الزمن، وكان مبجلا عنده، ومكرما لحسن سيرته. ويبدو أن عبد الرحمن قد تلقى تعليمه الأول على يد والده سيدي موسى بصفيصفة. ينظر: نفسه، ص: 78.

(14)– عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني (ت 1373هـ/ 1965م)، المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية وفي التعريف بمشاهير العلماء ورجال المعاهد الصوفية، تحقيق: الجيلاني بن فرح حسين، (د.م)، (د.ت)، ص ص: 48 ـ 79.

(15)– ينظر الرابط:

http://www.cheikhiyya.com/Tariqa-Cheikhiyya.php

روجع يوم: 01/ 12/ 2021م في الساعة: 22:23

(16)– نفسه.

(17)– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م ص ص: 508 ـ 509.

(18)– أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن القاضي العباسي السجلماسي (ت 1022هـ/1613م): هو أبو العباس أحمد بن عبد الله السجلماسي العباسي الفلالي "ابن أبي محلى"، ثائر متصوف ولد بسجلماسة عام 967هـ/1560م، كان من قادة الجيش زمن المولى السعدي زيدان، من آثاره كتاب "الإصليت"، و"عذراء الوسائل وهودج الرسائل"، نهل العلم في

فاس على يد محمد بن مبارك الزعري وغيره، ولقب بالعباسي أنه استقر ببني العباس بوادي الساورة أثناء رحلاته المتواصلة في طلب العلم، فأسس زاويته بها التي ألف فيها أغلب كتبه، وبعدها خرج للحج عام 1013هـ/1605م ـ 1014هـ/1606م، للمرة الثانية، كما اشتهر بثورته على المولى زيدان في خضم التشتت والضعف الذي شهده المغرب السعدي وقتذاك، إلى أن قتل في مراكش سنة 1022هـ/ 1613م، من قبل يحيى بن عبد الله. ينظر: أبو العباس أحمد إبن القاضي (ت 1056هـ/ 1651م)، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: أبو النور محمد الأحمدي، (ج2)، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1971، ص: 215.

(19)– رشيد بكاري، سلطة الخطاب الصوفي في الجزائر، أدوار التنظيمات الصوفية الطرقية خلال الفترة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر) من المقومات الشعبية إلى المقاومة السياسية والثقافية (دراسة تحليلية نقدية 1832/ 1954)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الديني، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2012 ـ 2013، ص: 172.

(20)– عبد الحق حميش وآخرون، موسوعة تراجم علماء الجزائر، علماء تلمسان وتوات، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص: 65.

(21)– الطريقة البوبكرية: تنسب إلى العالم سيدي معمر سليمان أبو العالية، أحد أصول البوبكرية ولد حوالي عام 1330م الموافق لـ 731هـ، في ناحية تونس، ثم هاجر منها سنة 1370م الموافق لـ 772هـ، وأقام في ضواحي أربا، في الجزء الغربي من الجنوب الجزائري الحالي، حوالي سنة 1382م الموافق لـ 784هـ . كان هذا الولي الصالح جد السلالة البوبكرية الشريفة توفي على ما يبدو في أربا سنة 1420هـ الموافق لـ 822هـ، بالاضافة الى وضعيته كجد أول للبوبكرية، عرف بالصلاح، وبإقدامه، ونجح في تصحيح عقائد الناس، واتخذه أهل الجنوب الجزائري شيخًا ومرجعًا لهم لعلمه وتقواه وكراماته التي كانت تدل على صدقه وصلاحه. ويعد أبناء سيدي معمر أبو العالية، وهم: عيسى – أحمد– غيثر — محمود هم من نشر البوبكرية في الجنوب الجزائري، خصوصًا سيدي عيسى الذي كان على منوال والده وأجداده، في الدعوة إلى الله تعالى والعودة الى السنة المطهرة. كانت ولادته في تونس ما بين 1350م و 1360م، مكانًا رئيسًا للبوبكرية ما بين 1420م و1453م، توفي سيدي عيسى حوالي 1450م، تاركًا وراءه أبناء كثر أهمهم خليفته على البوبكرية "أبو الحياء" أو "بولحية" وقيل "يحي" وبقي عوض يحي أبو الحياء، وهو لقب والده سيدي عيسى . وسيدي يحي هذا ترك ابنه سيدي أبو سماحة كرئيس على العائلة البوبكرية. وهو ما أكده وتحقق منه خادم الطريقة الشيخية البوشيخية "مصطفى حاكمي البوشيخي". يتبع ترجمة سيدي أبو سماحة رحمه الله. فوجد بعد تلاوة البسملة: بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على سيدنا محمد

النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم. السلام عليكم: "(...). سيدي أبو سماحة الرئيس الجديد للبوبكرية والحلقة الخامسة ظهرت شخصية من نوع آخر أعطت دفعًا جديدًا لاستعادة المجد وتوسيع جمهور البوبكرية. ذكرى سيدي أبو سماحة بقيت حية في الذاكرة الشعبية دليل ذلك عدد الأشخاص الذين يحملون اسم "بوسماحة" في المغرب والجزائر. (...) وأسس بثلث آخر زاوية بوبكرية لتعليم الدين والسنة والتصوف البوبكري الأصيل الذي أسسه أسلافه رحمهم الله. كان لسيدي أبو سماحة الفضل في اعطاء دفع حاسم للسلالة البوبكرية عندما بدأت تنهار. عاش بانتظام في الجنوب الغربي ثم أقام في منطقة بربرية بالمغرب الأقصى حيث خلف ذرية تدعى آيت بوسماحة. يحكى بأنه توفي في مصر إبان الحج إلى البقاع المقدسة، سنة 897هـ/ 1492م. خلفه على الزاوية البوبكرية ابنه العالم سيدي سليمان الشريف البكراوي نسبه إلى جده أبو بكر الصديق رضي الله عنه. الذي تزوج من السيدة عائشة الشريفة بنت سيدي عبد الجبار الفجيجي، وهي من عائلة علماء أدارسة معروفة جدا في فجيج، ومن هذا الزواج ولد سيدي أحمد المجدوب جد "المجادبة" حسب الرواية كان سيدي سليمان في هذه الحقبة قد تزوج من امرأة إدريسية أخرى تسمى السيدة المالحة سليلة سيدي عبد الرحمان الودغيري شرفاء بني ونيف أم سيدي محمد، وحسب بعض الروايات فقد تزوج من إمرأة أخرى من أحلاف تيوت قد تكون أم "لالة صفية" جدة "أولاد أنهار"، وهناك روايات عديدة تضيف سيدي التومي، المدفون قرب المكان الذي دفن فيه سيدي إبراهيم في الأبيض سيدي الشيخ، وعبد الله المتوفي في سن مبكر والمدفون قرب أبيه في بني ونيف بالجزائر". ينظر الرابط:

http://bakersadik.blogspot.com/2013/04/blog-post_7726.html

رُوجِعَ يوم: 2021/12/02م في الساعة: 12:23

(22)– عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني (ت 1373هـ/ 1965م)، مرجع سابق، ص: 80.

(23)– أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي المليانى (توفي حوالي 931هـ/ 1524م): الراشدي نسبا المليانى دارا، من قبيلة مغراوة، ولد بقلعة بني راشد عام 1442م، على حسب بعض الروايات، أكمل دراسته في تلمسان، وتزامن وجوده هناك مع أفول نجم الدولة الزيانية، واشتداد التحرشات البرتغالية والاسبانية، الّتي كانت تستهدف سواحل عدوة المغرب ككل، وأمام عجز الكيانات السياسية الضعيفة القائمة آنذاك عن مواجهة الغزاة، فقد انتقدها وسعى لإسقاطها عن طريق دعم التواجد العثماني خاصة عندما تحالف أبو حمو الثالث مع الأسبان في تلمسان، لذلك صار من المغضوب عليهم في المدينة، فتركها وارتحل عنها إلى مدن عديدة في المغرب والمشرق العربي، أين أدى خلالها فريضة الحج، ثم عاد ليستقر في بجاية لبعض الوقت، فدرس هناك على يد العلامة

الصوفي أحمد زروق، وتولى القضاء فيها. توفي سنة 931هـ/ 1524م، وفي روايات أخرى غير ذلك، للمزيد ينظر: عبد المنعم الحسني القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص: 123 ـ 124.

(24)– قويدر قيداري، أولاد نهار والولي الصالح والشيخ الناصح سيدي يحيى بن صفية: سيرة وتراجم وتراث مقاربات تاريخية وأنثروبولوجية وفنية، مرجع سابق، ص: 78.

(25)– نفسه، ص: 83.

(26)– أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان السهلي (ت 990هـ/1582م): عالم من علماء المغرب الأقصى، الذي سميت بتسميته زاويته "زاوية السهلي" الكائنة قرب "بوذنيب" شرق الرشيدية بالمغرب الأقصى، حيث أخذ عنه سيدي يحيى بن صفية النهاري علوم اللغة العربية والفقه والحديث والتفسير وعلوم القرآن ومبادئ الطريقة الشاذلية. تخرج على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن السهلي مشايخ كثيرون كانوا إخوة لسيدي يحيى بن صفية النهاري، وابن خالته سيدي عبد القادر بن محمد المدعو "سيدي الشيخ" جد أولاد سيدي الشيخ، وصاحب القصيدة المشهورة المسماة "الياقوتة"، ومؤسس الطريقة الشيخية. ينظر: عتبة بن عتبة بن عبد الحكيم الجيلاني (ت 1373هـ/ 1965م)، مصدر سابق، ص ص: 32 ـ 33.

(27)– سبدو: ظهرت تسمية سبدو في عهد الإستعمار الفرنسي "سهب 2 / sehb2"، كما كانوا يطلقون عليها أيضا تسمية ترتي2، وهذه الأخيرة حاليا هي "تل تترني"، ثم صارت الكلمة من "سهب 2" إلى "سبدو"، وذلك على ما يبدو أن الفرنسيين في حد ذاتهم لا يقرأون حرف "H"، ويسقطونه نطقا لا كتابة، ولأنه ربما بعد مجيء المثقفين أو المتعلمين بعد الإستعمار في المدينة خاصة في الإدارات المحلية تحولت الكلمة عندهم من "sehb deux"، في كتابتها بالفرنسية إلى "sebdou"، وفي حال كتابتها بالعربية يكتبونها "سبدو"،. لقد كانت سبدو قاعدة متقدمة للحامية العثمانية، وتمثل احدى القبائل المخزنية، ونظرا لموقعها الاستراتيجي كونها بلدة كبيرة وبوابة نحو الصحراء، كانت دوما هدفا للأطماع حيث أن السيطرة عليها هي سيطرة على الطرق التي تربط الشمال الغربي للجزائر بالجنوب الغربي كله ويسيطر على البوابة الأمامية للجنوب الصحراوي، ولهذا فقد أسس فيها الأمير عبد القادر قلعته المشهورة والتي حولتها فرنسا إلى ثكنة عسكرية. ينظر: فاطمة الزهراء نجراوي، أسماء القرى في منطقة تلمسان، مخطوط مذكرة ماجستير، 2009م –2010م، ص: 89.

(28)– قويدر قيداري، بستان الأزهار في سيرة سيدي يحيى بن صفية ومسيرة أولاد نهار دراسة تاريخية وأنثروبولوجية، مرجع سابق، ص: 67.

(29)– دوتي إدموند (ت 1334هـ/ 1926م)، الصلحاء، مدونات عن الإسلام المغاربي في القرن التاسع عشر، ترجمة: محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2014، ص: 84.

(30)– قويدر قيداري، بستان الأزهار في سيرة سيدي يحي بن صفية ومسيرة أولاد نهار دراسة تاريخية وأنثروبولوجية، مرجع سابق، ص: 67.

(31)– نفسه، ص: 68.

(32)– نفسه، ص: 70.

(33)– نفسه، ص: 71.

(34)– لما توفي سيدي الشيخ يحي بن صفية النهاري التلمساني خلف أثنى عشر ولدًا وهم: سيدي الشيخ محمد النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الشيخ عبد القادر النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م) المدعو بالزائر، سيدي الشيخ عبد الرحمان النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، هؤلاء الثلاثة أشقاء وأمهم بنت سيدي الشيخ محمد من واد فل التلمساني (القرن 10هـ/16م)، المدفون ببلاد بني ورنيد قرب تلمسان، سيدي الشيخ الجلاني النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الشيخ محمد بالفتح النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الشيخ أحمد النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الشيخ أبو طيب النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الشيخ يحي بن يحي النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، هؤلاء الخمس أشقاء وأمهم بنت خال سيدي الشيخ يحي بن صفية وهو سيدي محمد بن سليمان بن أبي سماحة وخالهم سيدي الشيخ بن محمد، سيدي الشيخ الشاذلي النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الحاج أبو كورة النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، سيدي الشيخ أبو طيبة النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، توفي ببني سنوس وقبره معروف بقرية بني بحدل وهو مشهر، هؤلاء الثلاثة أشقاء وأمهم بنت سيدي عيسى التلمساني (القرن 10هـ/16م)، المدفون بواد يسر قرب تلمسان، ثم آخرا سيدي الشيخ أبو بكر النهاري التلمساني (من علماء القرن 11هـ/17م)، وأمه من مزيلة فرقة من قبيلة أولاد رياش النازلين الآن بواد سبدو. وكان وليا صالحا ومات في ذلك البلدة ودفن في امسيون بالحدود الجزائرية المغربية شرق مدينة وجدة على بعد ثلاثين ميلا منها وقبره مشهور عليه قبة ضريحه يزار ويتبرك به وقد بنيت على ذلك الموضع قرية كبيرة حديثة التكوين ولها سوق يعمر كل أسبوع مرة وسميت باسمه سيدي أبو بكر. ينظر: عتبة بن عتبة بن عبدالحكيم الجيلاني (ت 1373هـ/ 1965م)، مصدر سابق، ص: 45.

(35)– نفسه، ص ص: 43 ـ 46.

(36)– غوتي الشريف، شجرة تلمسان، المطبعة الجهوية، الجزائر، 1993، ص: 17.

(37)– أحمد الادريسي الشيباني، مصابيح البشرية في أبناء خير البرية، (د.ط)، 1987، ص:47.

(38)– نفسه، ص: 48.

(39)– نفسه، ص: 49.

(40)– نفسه، ص: 49.

(41)– أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني التلمساني (كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعدلي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص ص: 322 ـ 324.

(42)– نفسه، ص ص: 322 ـ 324.

(43)– نفسه، ص ص: 322 ـ 324.

(44)– نفسه، ص ص: 322 ـ 324.

(45)– الخطية: وهي رسم (ضريبة) تترتب عن "حادثة" أو "جنحة"، وقد كانت هذه الضريبة تفرض عادة على القبيلة التي كان يقيم بها "مرابط". وهي عقوبة مالية كانت على ما يظهر تفرض على من يخالف القوانين في الإيالة، خاصة منهم العلماء والأولياء الصالحين. ينظر: نصر الدين سعيدوني، الشرق الجزائري بايلك قسنطينة أثناء العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي من خلال وثائق الأرشيف تقديم وتعليق وترجمة، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص: 211.

(46)– أبو عبد الله محمد بن يوسف الزياني التلمساني (كان حيا سنة 1320هـ/ 1903م)، المصدر السابق، ص ص: 322 ـ 324.

(47)– نفسه، ص ص: 322 ـ 324.

(48)– نفسه، ص ص: 322 ـ 324.

(49)– نفسه، ص ص: 322 ـ 324.